

في صحّة الوطن

شعر

عبد الرحمن يوسف

الطبعة الثالثة





فِي صِحَّةِ الْوَطَنِ

اسم الديوان : في صِحةِ الوطن ...

أشعار : الشاعر / عبد الرحمن يوسف

الطبعة : الثالثة ١٤٢٣ هـ - ٢٠١٢ م

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر ولا يجوز إعادة

طبع أو اقتباس أي جزء منه بدون إذن كتابي من الناشر.

الناشر : دار الشاعر للنشر والتوزيع

١٨ ب شارع ٢٦ يوليو - وسط البلد - القاهرة

ت : ٠١٢٢٧٩١٩٧٩٢٠ (+٢)

الموقع على الإنترنت : www.arahman.net

البريد الإلكتروني : arahman@arahman.net

info@arahman.net

توزيع : دار العلوم للنشر والتوزيع

٢٩ شارع ٩ - ثكنات المعادي

هاتف وفاكس : ٢٣٥٩٣٩١٨ (+٢٠٢)

البريد الإلكتروني : daralaloom@hotmail.com

اللوحات الداخلية والغلاف : د. سامي صلاح

رقم الإيداع : ٢٠٠٤/٩٦٦٥

التجهيزات : 4F تليفون / فاكس ٣٥٤٢٤٦٣٠ (+٢٠٢)

فِي صِحَّةِ الْوَطَنِ

شعر
عبد الرحمن يوسف

دار
النشر
للنشر والتوزيع

دار
النشر
للشاعر للنشر والتوزيع

فهرس

القصيدة	الصفحة
إهداء	٧
مقدمة	٩
قانون الدولة	١١
إلى الأبد	١٧
زمن الخصيان	٢١
سائق الأظعان	٣٣
الأمّة والدولة	٤١
صلوات ملحد	٤٧
قبل الشرب	٦١
في صحّة الوطن ...	٦٥

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

إلى كُلِّ الذين سَاعَدُونِي لكي أنشر هذا الديوان ...
وإلى كُلِّ الذين وقفوا في طريق نشره !

عبد الرحمن يوسف

٢٠٠٤/٥/٧م

مقدمة الطبعة الثالثة

صدرت الطبعة الأولى من هذا الديوان في يونيو ٢٠٠٤م في لحظات
يأس عربية لا مثيل لها بسبب سقوط بغداد في يد المحتل الأمريكي.

ظروف الطبعة الأولى من هذا الديوان كانت شديدة الصعوبة،
بسبب محتواه الذي يصعب أن تقبل طباعته أو نشره أية مطبعة، وقد
كانت قصائد هذا الديوان ضريبة معول من معاول كثيرة هشتت أسطورة
الرئيس الفرد في كثير من الدول العربية.

كنت أشعر أنني سأتحمل نتائج هذه الأشعار وحدي، ولم أكن
أعرف أن هذه الأشعار سيتداولها جيل كامل في شتى بقاع الأرض.

إن انتشار هذه القصائد مرجعه إلى القارئ الذي صدّقها، وآمن بها،
ونشرها مقروءة مسموعة عبر أثير الشبكة العنكبوتية...

هذه الطبعة الثالثة من الديوان (في صحة الوطن)، وقد شاء الله أن
تصدر في لحظات أمل عظمى، بعد أن قامت ثورة يناير في مصر، وبعد أن
حل الربيع العربي في تونس واليمن وسوريا وليبيا (والبقية تأتي).

لا بد أن أشكر القارئ الذي نشر كل هذه الأشعار، في وقت لم يكن
للشعر فيه صوت، ولم يكن للشاعر فيه جمهور...

شكراً لكل قارئ صدق شيئاً ما في هذه القصائد...

عَبْدُ الرَّحْمَنِ يُوسُفُ



قانونُ الدولةِ

أَدَّ السَّلَامَ لِحَضْرَةِ الْيَضْبَاطِ

يَتَّجَمُّونَ بِسَائِرِ الْأَنْوَاطِ

أَلْقِ السَّلَامَ ... وَقُلْ تَقَدَّسَ سِرُّكُمْ

فَقُتُّمُ جَمِيعَ الرُّسُلِ وَالْأَسْبَاطِ

قَدْتُمْ سَفِينَتَنَا لَأَسْوَأَ لُجَّةٍ^(١)

غَرَقْنَا بِبَحْرِ الدُّلِّ وَالْإِحْبَاطِ

فَالْبَطْنُ يَأْكُلُ جُوعَهُ فِي عَهْدِكُمْ

وَالظُّهْرُ يَأْكُلُ مِنْ لَهَيْبِ سَيَاطِ

(١) اللُّجَّةُ : تلاطم موج البحر .

قَامَتْ قِيَامَةٌ دَوْلَتِي ... وَكَبِيرُهَا

يَشْدُو بِخُطْبَتِهِ كَصَوْتِ ضُرَاطٍ !

قَامَتْ قِيَامَتُنَا ... وَجُلُّ قِيَادَتِي

يَتَرَقَّبُونَ بِدَايَةِ الْأَشْرَاطِ !

خُصِيَّتْ جُيُوشُ الْحَقِّ قَبْلَ أَوَانِهَا

وَالْفِكْرُ ... مَعَهُودٌ إِلَى لَوَاطِ !

وَحِزَانَتِي فِي كَفٍّ لِمَنْ أَرْعَنَ

و « التلفزيون » مَضَى بِنَهْجِ الْخَاطِي

فَحَظُّوا بِلَفْنِ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعِهِمْ

وَحَظُّوا بِسَبِّ الدِّينِ مِنْ أَقْبَاطِ

وَعَدَا شِعَارُ النَّاسِ بَعْدَ عُلُوِّهِمْ
فَوْقَ الْجَمِيعِ ... أَيَا مُوَاطِنُ طَاطِي

وَالشَّعْبُ وَالْأَرْضُ الْحَبِيبَةُ أَمْسِيَا
جِرْمَيْنِ فِي فَلَكٍ بِغَيْرِ رِبَاطِ

نَمَطُ الطُّفَاةِ الْحَاكِمِينَ بِلِيلِنَا
يَنْفِي دَوَامًا سَائِرَ الْأَنْمَاطِ

نَمَطُ عَقِيمٍ ، مُسْتَيْدٍ ، أَرْعَنُ
وَيَقُولُ : « إِنَّ النَّهْجَ دِيمُقْرَاطِي »

هَذَا هُوَ الْقَانُونُ عِنْدَ حُكُومَتِي ...
تَدْعُو إِلَى التَّفْرِيطِ وَالْإِفْرَاطِ !

هَذَا هُوَ الْقَانُونُ فِي بُلْدَانِنَا

يُخْزِي الْكَرِيمُ ... وَيَسْتَيْدُ الْوَاطِي !

هَذَا هُوَ الْقَانُونُ يَبْدُو وَاضِحًا ...

مِنْ دُونِ تَفْكِيرٍ وَلَا اسْتِثْبَاتٍ !

قَانُونُ لَيْلِ الظُّلَمِ ... يُذَبِّحُ بُلْبُلٌ

كَيْ يَسْتَرِيحَ جَلَالَةُ الْوَطْوَاطِ

قَانُونُ دَوْلَتِنَا صَرِيحٌ وَاضِحٌ ...

أَدُّ السَّلَامِ لِحَضْرَةِ الضُّبَّاطِ

٢٠٠٢/٦/٢٥

صَبَاحًا

القاهرة

٦٠٠



إِلَى الأَبَدِ

يَحْيَا الرَّئِيسُ لِلأَبَدِ ! يَحْيَا هُوَ الْفَرْدُ الصَّمَدُ !
لَهُ صِفَاتُ رَبِّنَا ، لَكِنَّهُ ... لَهُ وَلَدُ !
بِهِ نَعُودُ مِنْ جَوَى^(١) وَحَاسِدٍ إِذَا حَسَدُ
بِهِ نُلُودُ دَائِمًا مِنْ فَاقَةٍ وَمِنْ كَمَدُ
نَرَاهُ مَعَ عَدُونَا مُنْبَطِحًا بِلا جَلَدُ^(٢) !
لَكِنَّهُ مَعَ كُلِّ أَهْمٍ لِي أَرْضِينَا كَمَا الْأَسَدُ !
نُحِبُّهُ - بِالطَّوْعِ أَوْ بِالكَرْهِ - ذَلِكَ الرَّشَدُ
يَعِيشُ فِي تَقَشُّفٍ وَفِي « الْفُلُوسِ » قَدْ زَهَدُ !
لِذَاكَ رَبِّي خَمَصَةٌ أَرْضِيدَةٌ بِلا عَدَدُ ... !

* * *

(١) الجوى : الحُرقة الشديدة من شدة الغرام أو من شدة الألم .

(٢) الجَلَدُ : القوة والشدة .

مُكْتَمِلٌ .. وَكَامِلٌ ، لِيَذَاكَ لَيْسَ يُنْتَقَدُ !
الصَّالِحُونَ حَوْلَهُ ، وَلَيْسَ فِيهِمْ مَنْ فَسَدَ !
دَوْمًا يَصُونُ مَالَنَا ، وَصَادِقٌ إِذَا وَعَدَ .. !
قَدْ كَانَ دَوْمًا كَارِحًا ، وَالْحَقُّ .. مَنْ جَدَّ وَجَدَ !
قَدْ كَانَ دَوْمًا نَائِبًا ، وَلَيْسَ فِيهِ مَنْ عُقِدَ !
وَذِكْرُهُ فِي صَادِقِ الْـ قُرْآنِ فَعَلًا قَدْ وَرَدَ
وَاقْرَأْ - إِذَا كَذَّبْتَنِي - آخِرَ سُورَةِ الْبَلَدِ
يَا رَبِّ ... طَوَّلْ عُمُرَهُ وَعَهْدَهُ ... إِلَى الْأَبَدِ !

٢٠٠٤/١/١٦

صَبَاحًا

القاهرة

٥,٠٠





زَمَنُ الْخَصِيَانِ

قَسْوَةُ الْيَوْمِ الْجَائِئِنا لَأَمْسِ
فَتَفَاخَرْنَا ... رَغْمَ ذُلِّ وَبُؤْسِ

بَذْرَةِ الْخَوْفِ أَيْتَعْتُ فِي رُبَائِنا
وَنَسِينَا مِنْ أَمْسِينَا أَلْفَ دَرَسِ

كَسُلَاتِ جَيْفَةٍ^(١) قَدْ غَدَوْنَا
وَانْقَرَضْنَا ... كَفِكْرَةٍ دُونَ رَأْسِ

وَقَرَعْنَا الْكَلَامَ طَبْلَ خُوءٍ
وَزَرَعْنَا الظُّلَامَ فَوْقَ الشَّمْسِ

(١) جيفة : جثة الميت إذا أنتنت وفاح ريحها .

كَيْفَ نَرْقَى وَقَدْ غَزَاْنَا عِدَاْنَا ؟

وَأَبَحْنَا لِزُورِهِمُ أَلْفَ قُدْسٍ ؟

كَيْفَ ؟ وَالسَّجْنُ ضَمَّ شَعْبًا كَسِيحًا

وَزَعِيمٌ « مُحَنْطٌ » فَوْقَ كُرْسِيٍّ ؟

* * *

شَبَّحُ اللَّيْلِ جَائِثٌ فَوْقَ أَرْضِي
وَقُلُوبٌ مَلَأَى بِكُرِّهِ وَبُغْضِ

لُغَةِ الْحَقِّ سَيْطَرَّتْ فِي كَلَامِي
وَأَرَى بَغْضِي صَارَ يَكْرَهُ بَغْضِي

أَنَا شَعْبٌ ... فِي حَاضِرِي صِرْتُ عَبْدًا
وَحَيَالِي ... نَحْوَ التَّحَرُّرِ يَمْضِي

صِرْتُ مِنْ جُوعِي فِي السُّجُونِ نَحِيلًا
وَتُغْنِّي الْأَبْوَاقُ طُولِي وَعَرْضِي !

أَنَا مَا كُنْتُ عَاهِرًا ذَاتَ يَوْمٍ
كَي يَبِيعُ الْقَوَادُ فِي اللَّيْلِ عَرْضِي

فِي عَصُورِ اللَّيْلِ السَّحِيقِ مُقْسِمٌ

بِيَدِ أُنِّي مَا نِلْتُ لَحْظَةً غَمُضٍ^(١) !

* * *

(١) لحظة غَمُض : أي لحظة نوم .

يَصْرُخُ الْحَقُّ فِي مَجَالِسِ طُرُشٍ
كَدَفَيْنِ بَيْنَ الْمَقَابِرِ يَمْشِي
وَحَيَاةٌ ... كَوَحْشَةِ الْمَوْتِ صَارَتْ
وَمَمَاتٌ ... يَحْوِي مَرَارَةَ عَيْشٍ
يُولَدُ الطُّفْلُ عِنْدَنَا مَخْصِيًّا
يُحْرَمُ الْحُبُّ فِي مَرَاكِيلِ طَيْشٍ !
جَائِعٌ شَعْبِي ... وَالطُّعَامُ كَثِيرٌ
وَالْقِيَادَاتُ تَسْتَجِمُّ بِكَرْشٍ
أُمَّةُ الشَّمْسِ اسْتَسْلَمَتْ لظُلَامٍ
وَزَعَامَاتٍ تَسْتَيْدُ بِجَيْشٍ

حَالُنَا ... قَيْدٌ فِي زَنَازِينِ دُلٍّ

وَرِئِيسٌ مُخَلَّدٌ فَوَقَّ عَرْشِ !

* * *

حَائِطُ السَّجْنِ عَنْ دَمِي صَارَ يَحْكِي
وَلِسَانِي مُقَيَّدٌ تَحْتَ فَكِّي

وَأَنَا مُهَرٌّ ... أَصْطَلِي بِلِجَامِي
كَيَقِينٍ ... مُقَدَّبٍ بِالشُّكِّ !

قَدْ نَسِيتُ الصَّهِيلَ مِنْ طَوْلِ كِبَتِي
وَتَعَلَّمْتُ - إِنْ تَكَلَّمْتُ - أَبْكِي !

تَعِيبَ الْقَيْدُ مِنْ تَذْمُرِ شَعْبِي
بَاتَ يَشْكُو فَمَلَّ مِنْهُ التَّشْكِي

وَرَوَايَاتٌ ... عَنْ تَحَرُّرِ أَرْضِي
قَدْ أُذِيعَتْ عَلَى الْمَلَا دُونَ حَبْلِي

زَمَنُ الْخِصْيَانِ ... !

أَنْتَ رِيحُ دُنَّا ثُمَّ فَاحَتْ

وَيَقُولُونَ : « إِنَّهَا رِيحُ مِسْكِ » !

* * *

مَسَّنِي الدُّلُّ ... رَغَمَ شِدَّةِ حِرْصِي

كَنْيُوبٍ تَمَكَّنْتُ بَعْدَ رِبْصٍ^(١)

أَنَا شَمْسٌ ... لَكِنِّي رَغَمَ وَهْجِي

مَلِكِ التَّلْجِ وَالظُّلَامِ بِقُرْصِي

قَدْ تَوَحَّدْتُ فِي الشَّدَائِدِ شَعْبًا

بِيَدِ أُنِّي مَلَلْتُ مَلِيُونِ « عَرَصٍ »^(٢)

قَلَّةٌ بَاعَتْ فِي الْأَزْقَةِ عِزِّي

يَرْخُصُ التَّاجُ بَيْنَ كَفِّي لِمِ !

(١) ربص : أي تربُّص .

(٢) عرص : لفظة عامية مصرية، ومَن يرد معناها فليسال أول مصري يلتقيه !

يَا زَعَامَاتِ أُمَّةٍ ... أَذْرِكُوهَا

وَامْتَحُوا لَيْلَ شَغْفِكُمْ أَيُّ بَصٍّ^(١)

كَيْفَ تَرْقَى بِقَادَةِ جُبْنَاءِ

كُلُّهُمْ - فِي نَهَايَةِ الْأَمْرِ - مَخْصِي !

٢٠٠٠/١٠/٢١

صَبَاحًا

القاهرة

٤٠٠



(١) البَصُّ : اللمعان والتلألؤ ، والمراد : النور .



سَائِقُ الْأَظْعَانِ (١) !

(١) هذه القصيدة معارضة لقصيدة ابن الفارض الشهيرة ، ومطلعها :
سَائِقُ الْأَظْعَانِ يَطْوِي الْبَيْدَ طِيْ مُنْعِمًا عَرَجٌ عَلَى كُتُبَانِ طِيْ
وهي قصيدة لا نظير لها في الشعر العربي ، فلم ينسج على هذا المنوال
إلا ابن الفارض ، نظرًا للصعوبة الشديدة للقافية .
وقصيدتي بنفس المطلع وإن لم تكن في نفس الموضوع ! حيث إن الأولى
عن الحب الإلهي ، وهذه تعتبر تعليقًا على مقتل عُذَيٍّ ، وقُصَيٍّ ابني صدام
حسين !

« سَائِقَ الْأَظْعَانِ ^(١) يَطْوِي الْبِيدَ طَيُّ »

كَمْ لَدَيْنَا مِنْ « عُدَيٍّ » وَ « قُصَيٍّ » !

« سَائِقَ الْأَظْعَانِ يَطْوِي الْبِيدَ طَيُّ »

مَاتَ كَلْبَانِ فَكَمْ قَدْ بَاتَ حَيُّ ؟

سَائِقَ الْأَظْعَانِ لَا تَرْحَلْ بَعِيدًا

إِنَّ دَمْعَ الْأَرْضِ أَدْمَى مُقْلَتِي

أَنَا مَنْ حَرَّرْتُ أَرْضِي مِنْ دَخِيلِ

وَأَخِي جَاءَ فَأَعْيَا مَنَكِبِي

(١) الأظعان : أي جمال القافلة المسافرة .

مِحْنَتِي فِي حَاكِمِي ، لَا مَنْ غَزَانِي
هُوَ فِي الْأَوْطَانِ أَخْرَى مِحْنَتِي
قَصْرُهُ لِي قِبْلَةٌ بِالرَّغْمِ مِنِّي
حِينَ فَرَضِي صَارَ أُولَى كَقَبَائِي
كَمْ دِمَاءٍ قَدْ أَسَالَ الْوَعْدُ مِنِّي
سَيْفُهُ مَا كَانَ لِي ، لَا .. بَلْ عَلَيَّ
ذَاقَ ذُلِّ الْقَهْرِ مِنْ جَيْشٍ دَخِيلٍ
مُنِيَّتِي لَوْ ذَاقَ قَتْلًا بِيَدِي
لَحْظَةُ التَّحْرِيرِ ؟ أَمْ لَحْظَةُ ذُلِّي ؟
مُرْهَقٌ إِنِّي هُنَا فِي لَحْظَتِي

أَنَا لَا أَشْمَتُ ، لَكِنَّهُ ضِي
كَانَ مَرَهُونًا بِتَقْتِيلِ أَخِي^(١) !

* * *

سَائِقَ الْأَطْعَانِ .. أَسْرِعْ .. فَطَرِيقِي
نَهْضَةً بِالرَّغْمِ مِنْ جَيْشِ خُصِي^(٢)

تِلْكَ أَرْضِي لَيْسَ يُضْنِيهَا اخْتِلَالٌ
لَيْسَ لِلْأَغْرَابِ فِيهَا أَيُّ شَيْءٍ

ذَلِكَ الْمُحْتَلُّ مَطْرُودٌ سَرِيعًا
مَا لَهُ مِنْ شَمْسٍ إِصْرَارِي فِي^(٢)

(١) تصغير خصي .

(٢) فِي هُنَا بِمَعْنَى الظِّل .

هَذِهِ الْأَوْطَانُ لِلتَّحْرِيرِ عَهْدٌ

مِنْ أَبِي وَتَقْتُهُ حَتَّى بُنِيٌّ

عَاجِزٌ مَعَ أَهْلِ حُكْمِي ، وَقَدِيمًا

عَلْمُونًا : « آخِرُ الْأَدْوَاءِ كَيُّ ! »

وَإِذَا مَا عَجَزَ الْكَيُّ فَحَتَمًا

سَوْفَ نَشْوِي قَائِدَ الْخَيْبَةِ شَيْئًا

دِينَ حُكَّامِي كَلَامٌ وَوَعْدٌ

حُكْمُ دِينَ الْوَعْدِ : دِينَ الْوَعْدِ لِي^(١) !

(١) لِي : أي المماثلة ، والسير على غير استقامة ، ويطلق على الكذب كذلك .

كَمْ لَدَيْنَا مِنْ رَّئِيسٍ أَلْمَعِي^(١)

قَدْ جَنَى فِي حَقِّ أَوْلَى قِبْلَتِي

نَحْوَ أَرْضِ الْقُدْسِ قَالُوا سَوْفَ نَمْضِي

وَاسْتَبَاحُوا مَالَ ذَاكَ الْجَارِ فِي^(٢) !

بَعْدَ أَنْ كُنْتُ غَنِيًّا بِبِلَادِي

رَهْنِ الْقُوَادِّ مَا كَانَ لَدِي

هَذِهِ أَوْطَانُنَا تَقْطُرُ ذُلًّا

وَقِيُودٌ قَدْ أَهَانَتْ سَاعِدِي

(١) الألمعي : الداهية الذي لا يخطئ في الأمور .

(٢) فِيَ هنا أي فينا حلالا ، والمعنى الدقيق للفيء : هو المال الذي يستولي عليه الجيش بدون قتال ، بعكس الغنيمة تكون بعد قتال .

سَائِقُ الْأُظْعَانِ .. لِلصَّبْرِ حُدُودٌ

وَاصْطَبَّارِي بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ غِيٌّ^(١)

سَائِقُ الْأُظْعَانِ .. تَحْرِيرِي قَرِيبٌ

قَدْ هَتَفْنَاهَا : « عَلَى التَّحْرِيرِ حَيٌّ »

سَائِقُ الْأُظْعَانِ .. فَلْيَسْقُطْ نِظَامٌ

زَادَ مِنْهُ الشَّعْبُ فَوْقَ الْغِيِّ عِيٌّ^(٢)

سَائِقُ الْأُظْعَانِ .. أَرْجُوكَ تَمَهُّلٌ

كَمْ لَدَيْنَا مِنْ عُدَيٍّ .. وَقُصَيٍّ !

٢٠٠٣/٧/٢٨

صَبَاحًا

القاهرة

٣٠٠



(١) الغي : هو الضلال .

(٢) عي : من الإعياء .

(١)

الأمة والدولة

(١) هذه القصيدة مهداة إلى المفكر الكبير والكاتب العربي د. رفيق صموئيل حبيب ،
ولها نفس عنوان الكتاب الرائع الذي ألقاه « الأمة والدولة » وقد ترك في أكبر
الأثر .

لَيْلٌ يُقِيمُ ، ... وَأُمَّةٌ مُسْتَعْبِدَةٌ

وَحُكُومَةٌ ... أَفْكَارُهَا مُسْتَوْرَدَةٌ

أَنْمُودَجُ الْحُكْمِ « الْمُعَلِّمِنِ » ^(١) سَائِدٌ

وَالشَّعْبُ صَارَ كَفَّارَةً فِي الْمَصِيدَةِ

هِيَ دَوْلَةٌ قُطْرِيَّةٌ ، قَوْمِيَّةٌ ،

مَجْهُولَةٌ الْأَفْكَارِ غَيْرُ مُحَدَّدَةٍ

رَسَمَ الْعَدُوُّ حُدُودَهَا بِدِهَائِهِ

كَقَنَابِلٍ فَوْقَ الطَّرِيقِ مُعَقَّدَةٍ

(١) المعلمن : أي ذو النهج العلماني المستورد .

أُتْمُوذَجُ الْغَرِيبيِّ في أَفْكارِنَا
كَالرَّبِّ سَيَطْرَ فَوْقَ كُلِّ الْأَفئِدَةِ
كُلُّ الْمَوَارِدِ في بُنُوكِ سويسرا
وَالْغَالِبِيَّةُ في ضَرْبِهَا مُجْهَدَةٌ
طُرُقُ الْمَذَلَّةِ عُبِّدَتْ ، وَدُرُوبُنَا
لِلنَّهْضَةِ الشَّمَاءِ أَمْسَتْ مُوصَدَةٌ
وَطَلِيعَةُ فِي السَّجْنِ .. أَوْ فِي هَمَّهَا
مَحْبُوسَةٌ .. وَالْكَثْرَةُ الْمُتَرَدِّدَةُ
جُمُهورُنَا خَلْفَ السَّرَابِ مُشَرَّدٌ
وَقَرَائِحُ مِنْ دُلْهَا مُتَبَلِّدَةٌ

وَقِيَادَةٌ بَاعَتْ كَرَامَةً شَفِيعَهَا
رَغْمَ الْيَمِينِ ... وَقِلَّةِ مُتَمَرِّدَةٍ
مَا زَالَ بُوقُ الْقَصْرِ يَنْعِقُ وَاعِدًا
بِالْخَيْرِ .. كَمْ ذَا الْقَصْرِ أَخْلَفَ مَوْعِدَهُ
دَرْبُ التَّحَرُّرِ أَنْ تُقَيَّدَ دَوْلَتِي
بِإِرَادَةِ الشَّعْبِ غَيْرِ مُقَيَّدَةٍ !
هُوَ مَشْهَدُ التَّحْرِيرِ فِي أَذْهَانِنَا
كَمْ أَبْصَرَ الْأَحْرَارُ حُلْمًا مَشْهَدَهُ
أَوْرَاقُ كُلِّ اللَّغَبِ عِنْدَ حُكُومَتِي
وَيْدُ النَّهْوضِ مِنَ السَّلَاحِ مُجَرَّدَهُ

مِضْمَارُهُمْ لِحِصَانِهِمْ .. وَسِبَاقُهُمْ

كَرَوَائِيَّةٍ هَزْلِيَّةٍ مُتَفَرِّدَةٍ

مَا بَيْنَ صُنْدُوقِ اتِّخَابٍ بَاطِلٍ

وَجُنُودِ أَمْنٍ بِالرَّغِيفِ مُهَدَّدَةٍ

مَا بَيْنَ تَلْفَازٍ يُصَفِّقُ دَائِمًا

وَعَمَائِمٍ لِقِيَادَتِي مُوَدَّدَةٍ

مَا بَيْنَ كُتَّابٍ تَخْتَرُ حِجْرَهُمْ

وَمَحَاكِمٍ مِنْ عَسْكَرٍ مُتَسَيِّدَةٍ

مَا بَيْنَ أَحْزَابٍ « خِيَالُ مَائَةٍ »

وَوِزَارَةٍ عَنْ أَيِّ حَقٍّ مُقْعَدَةٍ

رَيْسَتْ مَطَامِحُنَا ، وَصَوْتُ إِذَاعَتِي

يَعْلُو .. يُبَايِعُ .. بَيْعَةً مُتَجَدِّدَةً !

٢٠٠٤/١/١٦

صَبَاحًا

القاهرة

٤٠٠



صَلَوَاتُ مُحَمَّدٍ

الصلاة الأولى :

أَدْعُوكَ يَا رَبِّ هَذَا الْكَوْنُ مِنْ شَجَنِي
أَنَا الْمُعَذَّبُ بَيْنَ الْقَبْرِ وَالْكَفَنِ
مَا زِلْتُ أَسْجُدُ طُولَ اللَّيْلِ مُبْتَهِلًا
أَفِرُّ لِلدِّينِ كَيْ أَنْسَى بِهِ حَزَنِي
أَمْسَكْتُ مِسْبَحَةً كَانَتْ بِكَفِّ أَبِي
تَمْتَدُّ فِي الطُّولِ مِنْ « وَهْرَانِ » « لِلْيَمَنِ »

أُسَبِّحُ اللَّهَ ... وَالشَّيْطَانَ يَمْلِكُنِي

أُكْرِّرُ الْوَرْدَ فِي صَحْوٍ وَفِي وَسَنٍ^(١)

وَبَعْدَ إِنْهَاءِ وَرْدٍ لَسْتُ أَفْهَمُهُ

صَلَّيْتُ لَحْنًا عَلَى قِيَّارَةِ الْوَطَنِ !

*

(١) الوسن : النعاس من غير نوم أو النوم الخفيف .

الصَّلَاةُ الثَّانِيَةُ :

أُمَارِسُ الْكُفْرَ أَشْكَالاً مِنْ الْحَرْفِ

وَأُنَحِّتُ الدِّينَ آيَاتٍ عَلَى الْخَرْفِ

بِالْعَمَلِ أَتْرُكُ كُفْرِي بَابَ صَوْمَعَتِي

كَيْ أَلْتَقِيَ جَوْهَرَ الْإِيمَانِ بِالصُّدْفِ

أَدْعُوكَ يَا رَبُّ .. وَالْإِلْحَادُ دَاهِمَنِي

حَتَّى رَأَيْتُ طُقُوسَ الدِّينِ كَالْخَرْفِ

صَلَّيْتُ تَحْتَ صَلَيبٍ فِي كَنَائِسِهَا

وَجُرِّحَ الصَّدْرُ فِي دَرْبِي إِلَى النَّجَفِ

دَرْبُ السَّعَادَةِ فِي الْإِيمَانِ أَحْسَبُهُ

لَكِنَّهُ قَدْ بَدَأَ دَرْبًا إِلَى تَلْفِي^(١) !

*

(١) تلفي : أي موتي .

الصلوةُ الثالثةُ :

بَيْنَ الْحُضِيِّضِ وَبَيْنَ الشَّمْسِ مَنْزِلَتِي
أَعْلُو وَأَهْطُ فِي شَوْقٍ إِلَى سِنَّةٍ^(١)
مَا زِلْتُ أَطْلُبُ إِيْمَانًا يُثَبِّتُنِي
وَشَهَقَةَ الْكُفْرِ كَالْمِنْطَادِ فِي رِئْتِي
أَتَى سَجْدَتَنَا نَرَى مِنْ فَوْقِنَا صَنَمًا
وَنَذْكُرُ اللَّهَ فِي أَحْضَانٍ رَاقِصَةٍ !

(١) السِّنَّةُ : النعاس من غير نوم أو النوم الخفيف .

هَذِي الطُّقُوسُ مِنَ الْإِيْمَانِ فَارْغَةَ
وَمِلْؤُهَا الْكُفْرَ لِلْعَيْنِ الْمُدَقِّقَةِ

يَا مُلْحِدُونَ ... كَفَاكُمْ شَكْلَ دِينِكُمْ
فَاللَّهُ يَكْشِفُنَا مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ !

*

الصَّلَاةُ الرَّابِعَةُ :

هَرَيْتُ مِنْ مَسْجِدِي خَوْفًا مِنْ الْحَبْسِ
وَالْكُفْرُ يَمْزِجُ مَاضِيَهُ عَلَى أُمْسِي
أَعْدُو .. وَيَدْفَعُنِي الْإِيمَانَ مُنْطَلِقًا
كَيْ أَسْتَقِرَّ بِأَرْضِ الْكُفْرِ وَالرَّجْسِ
هَذَا الْوُضُوءُ عَلَى الْأَطْرَافِ مُنْتَقِضٌ
جِسْمِي طَهُورٌ وَذَلِكَ الرَّجْسُ فِي نَفْسِي

أَغْلَقْتُ مِنْ سَطْوَةِ السُّلْطَانِ صَوْمَعَتِي

أَنَا الْمُشَرَّدُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْحَسِّ

مَا ثَبَّتَ اللَّهُ جَيْشِي حِينَ مَعْرَكَتِي

وَلَيْسَ لِي دُونَهُ وَاللَّهُ مِنْ بَأْسٍ !

*

الصَّلَاةُ الْخَامِسَةُ :

تُرِيدُ فَهَمَ كَلَامِ الْحَقِّ يَا وَلَدُ ؟

تَفْسِيرُ جَدِّكَ ؟ أَمْ تَفْسِيرُ مَنْ وَفَدُوا ؟

لَوْ أَنَّ رُوحَكَ لِلْأَجْدَادِ مَا خَضَعْتَ

لَمَّا وَجَدْتَ كِلَابَ الْأَرْضِ قَدْ عُيِدُوا !

هَذِي التَّفَاسِيرُ - لَوْ دَقَّقْتَ - بَاطِلَةٌ

وَجَذْوَةُ الشَّكِّ فِي جَنْبَيْكَ تَتَّقِدُ

نَقُولُ : « أَرْوَاحُنَا لِلّٰهِ خَالِصَةٌ »

وَأَغْلَبُ النَّاسِ لِلزُّنْدِيقِ قَدْ سَجَدُوا !

نَقُولُ : « يَا رَبَّنَا ثَبِّتْ عَزَائِمَنَا »

لَكِنْ فَرَائِصُنَا لِلْوَعْدِ تَرْتَعِدُ !

*

الصَّلَاةُ السَّادِسَةُ :

اللَّهُ أَكْبَرُ أَعْطَى الْقَلْبَ إِيمَانًا

وَاسْتَبَدَلَ الْقَلْبَ بِالْإِيمَانِ كُفْرَانًا^(١) !

جَيْشِي الَّذِي آمَنْتَ قُوَّاتُهُ زَمَنًا

يَعِيشُ كُلُّ صُنُوفِ الْكُفْرِ أَزْمَانًا !

لَوْ كَانَ يَنْفَعُ إِيمَانِي لَمَا هَرَيْتَ

جُيُوشَنَا كَيْ يَسُوسَ^(٢) الْأَرْضَ أَعْدَانًا

(١) التركيب اللغوي هنا صحيح ، والمعنى أننا رضىنا بالكفر بعد الإيمان .
(٢) يسوس : أي يملك ويحكم .

لَوْ أَنَّ إِيْمَانَنَا بِاللّٰهِ مُكْتَمِلٌ

لَمَّا تَرَكْنَا عَلَى الْكُرْسِيِّ خَوَّانًا !

لَوْ أَنَّ قَادَتَنَا فِي وَجْهِهِ انْتَفَضَتْ

لَكَانَ رَبُّكَ فِي الْهَيْجَا^(١) تَوْلَانًا !

٢٠٠٢/٥/٥

صَبَاحًا

بَيْرُوت

١٠٠



(١) الهيجاء : هي ساحة القتال .



قَبْلَ الشُّرْبِ ... !

قَبْلَ الشُّرْبِ

أَنَا وَالْكَأْسُ فِي الْحَائَةِ وَقَلْبٌ مَلَّ إِذْعَانَهُ
أَنَا فِي عِيدِ مِيلَادِي وَكَأْسُ الْهَمِّ مَلَأْنَهُ
وَأَشْرَبُ دُونَمَا سُكْرٍ وَكُلُّ النَّاسِ سَكْرَانَهُ
وَأَنْظِمَةً قَدْ ارْتَاخَتْ وَكُلُّ النَّاسِ تَعْبَانَهُ
وَأَقْنِيعَةً قَدْ احْتَرَقَتْ وَشِعْرٌ ... هَدَّ أَوْزَانَهُ
وَمُعْضِلَةً بِلا حَلٍّ وَعُودٌ .. مَلَّ أَلْحَانَهُ !
وَأَصْفَادُ^(١) لَهَا أَلَمٌ وَشَفَبٌ ذَاقَ خِذْلَانَهُ
وَأَسْئِلَةٌ إجابتهَا تُخَلِّي النَّاسَ حَيْرَانَهُ
وَجَيْشٌ ... دُونَ مَعْرَكَةٍ وَبَحْرٌ تَأَقَّ شُطَّانَهُ
أَرَى حَوْلِي زَبَانِيَّةً^(٢) وَابْلِيْسًا وَأَعْوَانَهُ ... !
أَرَى وَطَنِي كَقُنْبُلَةٍ وَوَعْدًا سَلَّ نِيرَانَهُ

(١) أصفاد : أي قيود .

(٢) الزبانية : رجال الشرطة الغلاظ الأشداء .

أَرَى نَفْسِي كَعَابِدٍ لِيْهِ لِيْهِ قَدْ مَلَ قُرْآنُهُ
أَرَى فِي الْقَصْرِ بَطْلَانًا وَصَارَ الْحَقُّ قُرْيَانُهُ
لِذَلِكَ ... يَوْمٌ مِّيلَادِي أَنَا.. وَالكَأْسُ.. فِي الْحَانَةِ..!

٢٠٠٣/٩/١٨

صَبَاحًا

القَاهِرَة

٣٠٠





فِي صِحَّةِ الْوَطَنِ (*) ...

(*) هذه القصيدة ليست « مذهبي » أو وجهة نظري في المهازل التي تحدث في أوطاننا ، وأغلب ما فيها مجرد رصد لما حدث ، وانعكاساته على الإنسان البسيط ، لذلك لا مجال لاتهامي بـ « العمالة للأجنبي » ، أو « الفسق » ، فضلاً عن « الإلحاد » ! . وكل ما في القصيدة من تعبيرات مقصود متعمد ، حتى الأخطاء اللغوية ، التي هي نتيجة لتأثير الخمر على الشارب المسكين !

الكأس الأولى :

نُعِدُّ الكُؤُوسَ عَلَى مَهَائِنَا
وَنَشْرَبُ خَمْرًا فِدَا أَرْضِنَا
وَنَزْرَعُ فِي الْحَقْلِ جَهْدًا جَهِيدًا
لِثُورِ أَهْيَاؤُنَا سَوَسَانَا
وَتِلْكَ الْحَرَائِقُ شَبَّتْ بِأَرْضِي
نَنْظُفُ فِي جَوْفِهَا مَقْدَرَنَا

جَوَابُ السُّؤَالِ ... وَضُوحُ مُضِيٍّ

أَنَا ... مَنْ يُسَائِلُنِي مَنْ أَنَا !

نَعْدُ الْكُؤُوسَ ... وَنَشْرَبُ خَمْرًا

لَنَنْصُرَ فِي يَوْمِنَا مَوْطِنَنَا !

*

الكأسُ الثَّانِيَّةُ :

رداءُ الحُكُومَةِ نَعَمَ الرِّدَاءُ !

وَمَنْ يَتَّعِرُّ يَعِشْ فِي الشُّقَاءِ

وَجُودِي وَكُلُّ عَذَابَاتِ عُمَرِي

لَأَرْضِي أَرَاهَا قَلِيلَ الْعَطَاءِ

أَعِيشْ بِظُلْمَةٍ « بَارٍ » مُضِيٍّ

وَضَوْءُ الظُّلَامِ ... ظِلَامُ الضِّيَاءِ

أنا مَالِكُ النَّفْطِ في جَوْفِ أَرْضِي

ومَالِكُ أَرْضِي ... وَكُلُّ السَّمَاءِ

أنا عَاشِقُ الشَّعْبِ ... والشَّعْبُ يَشْدُو

لأَرْضِي بِكُلِّ قُنُونِ الغِنَاءِ

وإن زَارَنِي البَرْدُ حِينَ شِتَائِي

فثَوْبُ الحُكُومَةِ ... نِعَمَ الرِّدَاءِ

*

الكَاسُ الثَّالِثَةُ :

إِيهِ يَا نَفْسُ مِنْ مَشَاعِرِ نَفْسِي
هَذِهِ الْخَمْرُ أَيْقَظَتْ فِيَّ حَسِّي
وَطَنِي ... قَدْ حَبَسْتُ فِيكَ شُعُورِي
وَأَنَا لَمْ أَزَلْ وَحِيدًا بِحَبْسِي !
وَطَنِي ... الْيَوْمُ يَوْمُهُ ... وَغَدٌ قَدْ
جَاءَ يَزُهُو بِحُلَّةٍ مِنْ أَمْسٍ

وَطَنِي إِنْ شُغِلْتُ بِالْخَمْرِ عَنْهُ

نَازَعْتَنِي إِلَيْهِ فِي « الْبَارِ » نَفْسِي !

*

الكَاسُ الرَّابِعَةُ :

نَشْوَةُ الْخَمْرِ قَدْ سَرَّتْ فِي عُرُوقِي
وَسَنَاهَا يُنِيرُ عَثَمَ طَرِيقِي
وَالْتَفَاصِيلُ فِي دِمَاغِي كَسِيلِ
ثَوْرُ السُّكَّرِ مِثْلَ خَمْرٍ عَتِيقِ
وَبَدَا الشَّوْقُ دَاخِلِي أُمْنِيَّاتِ
طَعَنَتْ فِي الْقَلْبِ بِالتَّشْوِيقِ

كُلُّ مَا فِيَّ - لَوْ تَأَمَّلْتُ - صُلْبٌ

بِيَدِ أُنْسِي أَحْيَا بِقَلْبِ رَقِيقِ

سَابَحُ فِي بَحْرِ الْهَوَى لِثَرَابِي

وَأَرَانِي بَدَوْتُ مِثْلَ الْغَرِيقِ !

*

الكأسُ الخامسة :

أعيشُ كُلَّ شُهُورِ العُمُرِ في العَفَنِ .

لا فَرْقَ بَيْنَ رُبُوعِ الشَّامِ وَالْيَمَنِ

أريدُ أَصْلِحُ في أَرْضِي مَفَاسِدَهَا

لَكِنَّ سَطْوَةَ سَيْفِ الأَمَنِ تَمْنَعُنِي

لَمْ يَسْمَحُوا بِدُعَاءِ اللَّهِ خَالِقِنَا

أَوِ السُّجُودِ لغيرِ الحَاكِمِ الوَثَنِ

لَكِنَّهُمْ سَمَحُوا بِالْخَمْرِ أَجْرَعُهَا

لِذَاكَ أَجْرَعُهَا ... فِي صِحَّةِ الْوَطَنِ !

*

الكأس السادسة :

تُبَيِّتُ أَنَّ مُدِيرَ الْأَمْنِ أَوْعَدَنِي

وَالسَّيْفُ عِنْدَ مُدِيرِ الْأَمْنِ مَسْئُولُ !

أَسْيَافُهُ ظَهَرَتْ فِي اللَّيْلِ لَامِعَةً

لَا يُشْتَكِي قِصْرَ مِنْهَا وَلَا طُولُ !

وَرَأْسُ دَوْلَتِنَا أَمْسَى لَهُ حِكْمٌ

لَكِنَّهُ بَعِيُونِ الْكُلَّ مَخْبُولُ !

لَوْ حَدَّقْتُ فِيهِ عَيْنٌ حِينَ يَخْطُبُنَا

تَظُنُّ أَنَّ رَئِيسَ الْقَوْمِ مَسْطُولٌ !

لَا يَكْفُلُ الرِّزْقَ ... إِنَّ اللَّهَ يَكْفُلُهُ

لَكِنَّ مَوْتَ جَمِيعِ النَّاسِ مَكْفُولٌ !

*

الكَاسُ السَّابِغَةُ :

و « تَنْمِيَّةٌ » قَالُوا .. فَقُلْتُ : « بَرْنَقِيْعُ » ^(١) !

أَتَنْمِيَّةٌ وَالْحَالُ بَطُشٌ وَتَرْوِيْعُ ؟

وَقُلْتُ : « إِلَى خَلْفِ تَسِيرُ دُرُوبُنَا »

وَقَالُوا : « لِّلْاِسْتِثْمَارِ فِي الْاَرْضِ تَشْجِيْعُ »

وَقَالُوا : « بِأَنَّ الْمَالَ لِلْكُلِّ دَائِمٌ »

فَقُلْتُ : « نَصِيْبُ الْكُلِّ ذُلٌّ وَتَجْوِيْعُ »

(١) بَرْنَقِيْعُ : تَأْثِيْرُ الْخَمْرِ ؟ أَمْ لُغَةٌ رَمْزِيَّةٌ لِتَجْنِبِ الْعِقَابَ ؟!!!

وقالوا على ما قلتُ : « كَذِبٌ مُؤَكَّدٌ » !

وقلتُ على ما قيلَ : « غِشٌّ وَتَخْذِيرٌ » !

*

الكَاسُ الثَّامِنَةُ :

تُصِيبُنِي مِنَ الْخَيْرَاتِ مَنْ جَاءَ أَنْقَصَهُ ؟

وَإِسْتَيْ بِجَوْفِ اللَّيْلِ يَحْظَى بِبَعْصَصَةٍ^(١)

وَذَاكَ مَسَاءً فِي شَبَابِي عَشِيقَتُهُ

وَلَكِنْ أَتَى حِزْبٌ مِنَ الْجُنْدِ نَقْصَهُ

وَيَطْنِي - بِرَغْمِ النَّفْطِ وَالزَّرْعِ - فَارُغٌ

يَعِيشُ شُهُورَ الْعُمُرِ فِي قَبْرِ مَخْمَصَةٍ^(٢)

(١) البعصصة : دودة صغيرة يقال لها البعصوصة ، ولها معنى آخر متداول .

(٢) المخمصية : المجاعة .

وَأَمْلِكُ خَيْرَ الْأَرْضِ فَاحْتَرَعُوا لَنَا

نِظَامًا مِنَ الْبُهْتَانِ سَمَوُهُ « خَصْخَصَةٌ » !

*

الكأسُ التاسعة :

سَيِّمْتُ مَرُورَ العُمُرِ فِي الجَذْبِ والشَّدِّ
وَزَرَعْتُ بُذُورَ الحَقْدِ فِي عَرِصَةِ^(١) الودِّ
أُؤَدِّي فُرُوضَ الدِّينِ ... والدِّينُ مُهْمَلٌ
وَمَا زِلْتُ طُولَ اللَّيْلِ ألْهَجُ بِالوَرْدِ
وَأَنْظُرُ نَحْوَ الأَرْضِ مِنْ فَوْقِ رَيَوَةِ
أَعِدُّ لُجُومَ الصُّبْحِ عَدًّا عَلَى عَدِّ

(١) عريضة : أرض واسعة لا بناء فيها .

وتَحْتَرِقُ الأَشْعَارُ مَعَ كُلِّ نَكْبَةٍ

كَعُهُدَةٍ سَرَّاقِينَ فِي لَيْلَةِ الْجَرْدِ !

*

الكأسُ العاشرة :

أَرْضِي الْيَقِينَ بِخَافِقِي الشُّكَاكِ
عُصْفُورَةٌ تَحْيَا بِجَوْفِ شِبَالِكِ
أَهْوَاكِ كُرْهًا قَدْ تَفَجَّرَ دَاخِلِي
مِنْ سَطْوَةِ الْقَائِدِ الْأَفْصَاكِ !
أَعْطَيْتَنِي حُبًّا تَمَلِّكَ مُهْجَتِي
فَلَعَنَتْهُ ... وَلَعَنْتُ مَنْ يَهْوَاكِ !

رُدِّي إِلَيَّ مَشَاعِرِي وَقَصَائِدِي

أَوْ أَعْطِنِي بِالْخُبْزِ بَعْضَ رِضَاكِ !

أَوْ أَنْسِنِي جُوعِي الَّذِي عَانَيْتُهُ

أَوْ أَلْهِمْنِي الْيَوْمَ أَنْ أَنْسَاكِ ... !

الكَاسُ الْحَادِيَةُ عَشْرَةَ :

السَّيِّئُ ... وَالْأَرْضُ الْحَبِيبَةُ

كَلِمَاتُ تَحْذِيرٍ عَجِيبَةٍ !

وَالنُّورَةُ الْعَصْنَمَاءُ .. وَالـ

وَطَنُ الْمُفْسَدِ .. وَالْعُرْوَةُ ..

مَآذَا سَتَتَفَعَّلُنَا وَقَدْ

أَمْسَتْ إِرَادَتُنَا سَلِيلَةً ؟

أَمْسَى الْيَقِينُ بِهَا - وَجُو

عُ الْبَطْنِ يَمْلِكُنَا - كَرِيْبُهُ

*

الكأسُ الثانيةُ عشرةُ :

صَوَّتِي بِحَقِّي يَسْكُتُ
وَالْخَفْوَ فُ زَرْعُ يَنْبُتُ
وَأُمُّدُ كَفِّي لِلْعَدُوِّ
وَفِي رَأْيِي سَيَّ أَشْمَتُ
وَالْحَامِلُونَ سُو يُوفَهُمُ
عِنْدَ الطَّعَانِ تَشْتَتُوا
قَدْ خَلَّفُونَا حَسْرَةً
وَمَتَّى أَفَادَتْ حَسْرَةُ ؟

*



الكَاسُ الثَّلَاثَةُ عَشْرَةُ^(١) :

لَعَنَ اللَّهُ السِّيَاسَةَ

وَقُصُورًا لِلرِّيَاسَةِ

سَاكِنُ الْقَمَرِ دَوَامًا

أَكْثَرُ النَّاسِ نَجَاسَةٌ !

كُلُّ مَا فِيهِ غِبَاءٌ

مَا بِهِ أَيُّ كِيَاسَةٍ^(٢)

(١) يبدو أنه سكر !!!

(٢) الكياسة : الذكاء .

وَإِذَا قِيلَ : « شَرِيفٌ »

قُلْتُ : « بَلْ أَصْلُ الْخَسَاسَةِ ! »

*

الكَأْسُ الرَّابِعَةُ عَشْرَةَ :

كَرِهْتُ تُرَاثَ أَجْدَادِي !

وَنَهَضْتُنَا ... بِالْحَادِ^(١) !

وَحَيْرُوظِيْفَةٍ فِي الْكَوْ

نِ قَقْوَادٍ ... لِقَقْوَادٍ !

وَكَأْسُ الْخَمْرِ وَالِدُولَا

رُ وَالنُّسْوَانُ أَسْنِيَادِي !

(١) ألهذا حرم الله الخمر ؟؟؟

وَيَسْقُطُ كُلُّ دِينَ لِيْ—

سَ يُشْعِنِي وَأَوْلَادِي !

كَرِهْتُ اللَّهَ ... عَذَّبَنِي ..

وَأَوْلَادِي .. وَأَحْفَ—َادِي !

*

الكَاسُ الْخَامِسَةُ عَشْرَةُ :

حَيَاتِي عَشْتُهَا مُرَّةٌ
وَدَرْيَايَ كُلُّهُ عَشْرَةٌ
شَهَقْتُ الْحُلُمَ فِي صَدْرِي
وَمَا أَخْرَجْتُهُ زَفْرَةٌ !
حُكُومَاتٌ تُضَاجِعُنِي
وَتُسْرِقُنِي عَلَى غِرَّةٍ

بَكَارَةُ قَلْبِي الْمُسْكِي

— نِ تَنْزِفُ قَطْرَةً ... قَطْرَةً

وَوَعْدُ الْيُسْرِ بَعْدَ الْفُسْ

— رَلَمْ يَصْدُقْ وَلَا مَرَّةً

وَطَبَنُ الْحَاكِمِ الْجَبَّارِ

رِسْفَاخٌ لَهُ خِيَرَةٌ

وَلَمْ آمُلْ بِهِ خَيْرًا

فَحَسْبِي أَتَّقِي شَرَّهُ !

*

الكأس السادسة عشرة :

أَيَا وَطَنِي ... كَفَاكَ مِنْ ابْتِرَازِي !

أَنَا جِدُّ ... وَأَنْتَ الْآنَ هَازِي ^(١) !

أُرِيدُ أَرَاكَ فِي أَعْلَى الْمَعَالِي

وَأَنْتَ .. تَعِيشُ عُمْرَكَ فِي الْمَخَازِي

أَجُودُ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِي وَمَالِي

لَأَحْظَى مِنْكَ أَكْلاً بِالْبُرَازِ !

(١) هازي : أي هازئ .

تُجَازِينِي عَلَى شِعْرِي بِجُوعٍ
لِعَمْرِي ... ذَاكَ أَسْوَأُ مَا تُجَازِي

فَقِيرًا بِتُّ رَغْمَ ثَرَاءِ أَرْضِي
بـ « فُوسْفَاتٍ » و « بَثْرُولٍ » و « غَازٍ »

تَقْوُقِعَ عَزْمِي الْمَكْسُورُ هَمًّا
وَلَمْ أَقْبَلْ بِعِزِّي مِنْ تَعَازٍ

وَبَعْدَ مَمَاتٍ عِزِّي مِنْ قُتُوطٍ
تَمَلِّكَ مَوْطِنِي جَيْشٌ لِفَازٍ !

*

الكأسُ السابعةُ عشرة :

تَمَهَّلُوا ... تَمَهَّلُوا ... تَمَهَّلُوا

ذَاكَ الْغَرِيبُ بُرْهَةً ... وَيَرْحَلُ !

لَا تَزْعُمُوا الصُّمُودَ فِي مَعْرَكَةٍ

لَأَنْتُمْ فِي الْأَنْيَاطِ أَحْ أَفْضَلُ !

خَمْسُونَ عَامًا كَانَ كُلُّ مَا بِهَا

يَعْلُو ، وَكُلُّ هَمِّكُمْ أَنْ تَسْفُلُوا !

الأجنبيُّ جاءَ كي يَرْحَمَنَا

والسُّعْرُ .. كُلُّ النَّفْطِ .. فَلْتَهَلُّوا !

بَلْ حَقُّهُ - واللَّهِ - أَنْ نَشْكُرَهُ

أَلَمْ نَكُنْ مِنْ قَبْلِهِ نُقُتْلُ ؟

يَا حَضْرَةَ الزَّعِيمِ فَلْتَرْفِقْ بِنَا

فإِنَّنَا - وَرَبَّنَا - نُجِئُ

هَذِي الْغُرَاةُ بَعْضُ حَصْدِ زَرْعِكُمْ

وَمِثْلُكُمْ عِنْدَ الطَّعَانِ يَرْحَلُ !

*

الكأس الثامنة عشرة :

كُنْ أَمِيرًا ... تَمَدَّحُ^(١)

أَوْ بَغِيًّا ... تَرْبِّحُ

كُنْ رَئِيسًا ... أَوْ خَادِمًا

لِرَئِيسٍ يُذَبِّحُ

فِيهِ تُزَجَّى قَصَائِدُ

وَلَهُ النَّاسُ سَبَّحُوا !

(١) تَمَدَّحُ : أصلها تَتَمَدَّحُ ، وَحُذِفَتِ التَّاءُ لِلتَّخْفِيفِ ، وَمِثْلُهَا تَرْبِّحُ .

في صَبَةِ الْوَطَنِ ...

قَدْ غَدَا - رَغْمَ قَتْلِنَا -

بِاسْمِهِ الْكُلُّ يُنْبَحُ !

وَصَنَفُهُ - بَعْدَ ذُبْحِنَا -

عَبَّةَ رِيٍّ ... وَمُصْلِحُ !

الكَاسُ التَّاسِعَةُ عَشْرَةُ :

بِذَرَةُ الظُّلْمِ أَثْمَرَتْ
وَسُسُوفِي .. تَكْـسُرَتْ
أَجْنَبِيٌّ يَسُوسُنِي ^(١)
وَأَرَا ضِيَاءَ اسْتُغْمِرَتْ
قَدْ وَأَدْنَا رِجَالَنَا
كَرْسَاءٍ تَعَهَّرَتْ

(١) يسوسني : أي يحكمني ويملك أمري .

وَجِيءَ وَشٌّ مِنَ الْعِدَا

فَوَقَّعْنَا قَدْ تَجَبَّرَتْ

وَجِيءَ وَشٌّ لَأَرْضِ نَا

إِنْ أَتَى الضَّرْبُ .. أَذْبَرَتْ !



الكأس العشرون^(١) :

والسُّفلةُ تُحكِّمُ في وطني ...
والخمرُ - برغمِ نُصوصِ الشرعِ
تُحرِّمُ - ما زالتُ وثني ... !
والحاكمُ يملكُ كُرباجًا ...
إنْ أسكتُ عن مدحٍ ..
فيمدحُ يُنطقني ... !
وإذا فكَّرتُ بذمِّ الذاتِ العليا
في يومٍ ...

(١) هل فقد قدرته على التركيز فأسقط القافية ؟

فَالْحَاكِمُ - جَلٌّ - يُحَرِّكُ جَيْشًا

يَقْتُلُنِي ... !

الْفُؤْلُ .. طَعَامٌ جَوْعَنِي ...

وَمَوَائِدُهُمْ ...

تَتَبَاهَى « بِالْكَافِيَارِ » ...

تُغَيِّرُنِي ... !

وَالْعُرْيُ بَدَأَ لَهُمُ ..

إِغْرَاءٌ ...

وَالسُّتْرُ بَدَأَ لِي

- إِنَّ فَكْرَتُ بِمَعْنَى جَوْهَرٍ

مَعْنَى السُّتْرِ -

كَمَا كَفَّنِي ... !

أُسَيِّتُ الْفَرْقَ دَوَامًا بَيْنَ

رَئِيسِ الدَّوْلَةِ ...

وَالوَطَنِ ... !

قَيَّءٌ ثُرَّ قَيَّءٌ ... وَبَعْدَهُ ^(١):

لَعَنَ اللَّهُ الْمَلِكَ وَابْنَهُ ... !

لَعَنَ اللَّهُ الْأَمِيرَ وَابْنَهُ ... !

لَعَنَ اللَّهُ السُّلْطَانَ وَابْنَهُ ... !

لَعَنَ اللَّهُ الرَّئِيسَ وَكُلَّ أَبْنَائِهِ ... !

لَعَنَ اللَّهُ الْوَزِيرَ وَوَكِيلَ الْوِزَارَةِ ...

وَالْمُدِيرَ ... وَنَائِبَ الْمُدِيرِ ...

وَمُتَدِيرَ الْقِسْمِ ... وَالْمَوْظُفِينَ ...

وَالسَّاعِيَ ... وَالْغَفِيرَ ...

(١) لقد أسقط الوزن أيضاً !!!

لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيَّ ...
وَعَلَى كُلِّ مَنْ أَعْرَفُ ...
وَمَنْ لَا أَعْرَفُ ... !
أَيُّهَا الْوَطَنُ
الْمُتَأَلِّقُ بِخُضْرَةِ هَذَا الْبَحْرِ
الصَّخْرُ الْمُتَشَرَّبُ مِنْ تَفَاصِيلِ
الْلَوْنِ الْمُتَجَعِّدِ بِالْمَلَسَاءِ
الْبَيْضَاءِ السَّوْدَاءِ
الزَّاهِيَةِ بِحُلُكَةِ
إِشْرَاقِ الشَّمْسِ بِلَيْلِ
الظُّهْرِ الْمُورِقِ
خَرِيفًا فِي شِتَاءِ

الصَّيْفُ الْبَارِدُ بِفِعْلِ حَرَارَةٍ

طَعْمُ الْوَرْدِ عَلَى نَخْلَةٍ

صَحْرَاءُ الْغَابِ الْقُرْمُزِيُّ

الْمُورِقُ هَيُولِي

الْجَسَدُ الْبَضُّ

مِنْ جَدَبِ الْأَرْضِ

الْمُنْحَدِرَةُ سَمَاءً

مِنْ حُجْرَةٍ

نُورًا وَارِفٍ ...

لَعَنَ اللَّهُ الْوَطْنَ ... !

لَعَنَ اللَّهُ الْوَطْنَ ... !

لَعَنَ اللَّهُ الْوَطْنَ ... !

لَعَنَ اللَّهُ الْوَطَنُ ... !

لَعَنَ اللَّهُ الْوَطَنُ ... !

لَعَنَ اللَّهُ الْوَطَنُ ... !

ثُمَّ قَيَّءٌ أَخِيرٌ ...

وَنَوْمٌ ...

البدائية : في مطار القاهرة ، في التاسع من
إبريل ٢٠٠٣ (يوم سقوط بغداد في يد الأمريكان)
النهائية : في القاهرة بعد عدة أسابيع استغرقتها
كتابة هذه القصيدة





في صحّة الوطن

شعر عبد الرحمن يوسف

لَنْ يُصَدَّقَنِي أَحَدٌ إِذَا قُلْتُ إِنَّ هَذَا الدِّيْوَانَ لَيْسَ ضِدَّ
شَخْصٍ، أَوْ حُكُومَةٍ، أَوْ نِظَامٍ بَعِيْنِهِ!

وَحِينَ قَرَّرْتُ نَشْرَهُ نَصَحَنِي الْكَثِيرُونَ بِأَنْ لَا أَفْعَلَ!

لِذَلِكَ - وَقَطْعاً - سَأَتَحْمَلُ نَتِيجَةَ نَشْرِهِ وَحْدِي،

النَّتِيجَةُ سَتَكُونُ رَقْماً لَا يَقْبَلُ الْقِسْمَةَ إِلَّا عَلَى شَخْصٍ

أَمَّا سَبَبُ تَصْمِيْمِي عَلَى نَشْرِهِ، فَلَأَنِّي لَسْتُ الْمُقَامِ

يُطْلِقُ الطَّلَقَ.. بَعْدَ انْتِهَاءِ الْمَعْرَكَةِ!!!

Bibliotheca Alexandrina



1194519

دار النشر

للتشرو والتوزيع

دار النشر

دار الشاعر للنشر والتوزيع

تصميم الغلاف تامر يوسف